مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ص89- ص123 يونيه 2008
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

حوار مع (الرماني) في وجوه الإعجاز القرآني(1)

د. عبد السلام حمدان اللوح
الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة

ملخص: هذه دراسة نقدية في الإعجاز، لرأي: أبي الحسن علي بن عيسى (الرماني)، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وذلك من خلال رسالته " النكت في إعجاز القرآن " التي تحدثت عن وجوه إعجاز القرآن، حيث تعددت الأقوال في وجوه الإعجاز قديماً وحديثاً، ووقع فيها الاشتباه واللبس؛ مما اقتضى دراسة تأصيلية؛ للضبط واجتناب الخلط، وذلك من خلال التعرف على حياة (الرماني) ورسالته، والعصر الذي عاش فيه، مع التحديد لكلٍّ من: أدلة إثبات الإعجاز، والوجه المعجز، وأدلة صدق الوحي والنبوة، وأشراط الإعجاز والمعجزة، وذلك بين يدي رأي (الرماني) في وجوه الإعجاز القرآني؛ ليسهل الحكم على رأيه في وجوه الإعجاز: قبولاً ورداً، مع وضعها في مكانها المناسب الذي تستحقه.

A dialogue with AL- Rommani on the Aspects of The Koranic Miraculous Nature

Abstract: This is a study on The Miraculous Nature, criticizing the view of Abu AL-Hassan Ali Bin Eisa AL-Rommani, Who Lived in the fourth century of The Mijra, stated in his treatise "Jests In The Micraculous Nature of The Koran ", which talks about the aspects of the miraculous nature of the Koran referring to the variety of views on the aspects the miraculous nature in the past and at present, where ambiguity and dubiousness occurred. This required a rooting study for the sake of verification and avoidance of confusion, through the cognition of AL-Romany's live and his treatise as well as the age in which he lived and the identification of every testimony evidencing the miraculous nature, the miraculous aspect and the proofs of the verity of revelation and prophet hood and the prerequisites of the miraculous nature and the miracle in the presence of AL-Romany's view on the aspects of The Koranic Miraculous nature so as to facilitate the evaluation of his view on the aspects of the miraculous nature, by acceptance or rejection, at the same time putting them in the suitable place they deserve.

مقدمة:

إن الإعجاز القرآني حقيقة ثابتة في كتاب الله لا ينكرها إلا مكابر جاحد، وهو الدليل القاطع على أن القرآن كلام الله ومن عنده، ودليل علي صدق محمد صلي الله عليه وسلم في

---

(1) الشكر الجزيل لعمادة البحث العلمي التي أسهمت في إنجاز هذا البحث بمنحة الجامعة الإسلامية للبحث العلمي للعام الجامعي 2006-2007م.

نبوته ورسالته إلي عالمي الإنس والجن ، ولذلك نجد التحدي قد شمل الإنس والجن معا، قال تعالي:{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (1).

هذه الحقيقة لا خلاف عليها لدي المؤمنين الموحدين، وإنما الخلاف في الوجه أو الوجوه التي كان منها ذلك الإعجاز، أي: بماذا كان القرآن معجزاً؟ وما سر ذلك الإعجاز؟.

ولذلك تباينت الأقوال في ذلك، فمنهم من قال هو معجز بما فيه من بلاغة وحسن بيان، وآخر قال: هو معجز بما فيه من أخبار الغيب، في حين قال ثالث: بل بما فيه من حكمة التشريع، ورابع قال: بل بما فيه من حقائق علمية كشف عنها العلم الحديث بعد أن كانت مخبوءة دهراً من الزمن ، وخامس قال : إن الله قد صرفهم عن ذلك ، وحال بينهم وبين أن قالوا قولاً مثل القرآن ، فعاقهم أمر خارجي ، ولولا ذلك الصرف لقاموا وقالوا مثل قوله ، وآخر قد جمع أكثر من وجه؛ لبيان سر ذلك الإعجاز، وكل يوم يظهر مَن قال بشيء جديد، فهل هذا كله من وجوه الإعجاز؟ أم هو خلط لا يجوز؟

وبهذا فقد تجمعت أقوال كثيرة ومختلفة: منها القريب، ومنها البعيد، ومنها المقبول، ومنها الشاذ النافر، ومنها ما يُعد شرطاً من أشراط إعجازه، ومنها ما هو دليل علي إعجازه، ومنها ما هو دليل فقط علي أن القرآن كلام الله ومن عنده ولا يكون وجهاً من وجوه إعجازه، ولعل لهم عذراً في ذلك الاختلاف والتباين؛ ذلك لأن الله قد جعل سر الإعجاز أمراً مستوراً عن الأنظار، وإن كانت آثاره شامخة لا يطمع فيها أنس ولا جان مهما أوتي من البلاغة والبيان.

من هنا نجد (أبا الحسن) " علي بن عيسي (الرماني) "الذي عاش في القرن الرابع الهجري قد دّون رسالة علمية بعنوان " النكت في إعجاز القرآن" أجاب فيها علي من سأل عن النكت في إعجاز القرآن، وقد جعل وجوه إعجازه متمثلة في سبعة وجوه، وسنقف مع تلك الوجوه بالنقاش والحوار؛ لنري مدي قربها أو بعدها عن الهدف الذي بني عليه رسالته، ومدي قبولها أو رفضها إذا وضعت في الميزان.

معتمداً في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي النقدي التقريري؛ للوصول إلى هدف البحث وغايته. وتحقيقاً لهدف البحث وغايته؛ فقد جعلت الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، **وذلك كما يلي**:-

---

(1) سورة الإسراء ، الآية (88).

حوار مع (الرماني) في وجوه الإعجاز القرآني

المقدمة: توضح أهمية الموضوع والدوافع التي دعت إلي تناوله، والهدف الذي ينحو إليه البحث، بالإضافة إلى منهج الدراسة وهيكلية البحث.

المبحث الأول: تعريف (ب(الرماني)) ورسالته وعصره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف (الرماني)

-**المطلب الثاني**: تعريف برسالة (الرماني)

-**المطلب الثالث**: عصر (الرماني)

المبحث الثاني: **تأصيل وتقعيد قضايا في الإعجاز**

وفيه أربعة مطالب:

-**المطلب الأول**: أدلة إثبات الإعجاز للقرآن الكريم

-**المطلب الثاني**: الوجه المعجز للقرآن الكريم.

-**المطلب الثالث**: أدلة صدق الوحي والنبوة

-**المطلب الرابع**: أشراط الإعجاز والمعجزة

المبحث الثالث: **مناقشة وجوه الإعجاز عند (الرماني)**

أولاً: البلاغة.

ثانياً: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

ثالثاً: التحدي للكافة.

رابعاً: الصرفة.

خامساً: الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.

سادساً: نقض العادة.

سابعاً: قياسه بكل معجزة.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وأهم نتائجه.

والله ولي التوفيق

المبحث الأول

تعريف (ب(الرماني)) ورسالته وعصره

أولاً: التعريف ب(الرماني)

أ- اسمه ونسبه ونشأته

هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله المعروف: ب(الرماني)، الإخشيدي، الوراق، أبو الحسن النحوي ، اللغوي، المفسر ، المقرئ، المعتزلي، الشيعي، أحد الأئمة المشاهير، جمع بين علم الكلام والعربية. (1)

و(الرماني): بضم الراء وتشديد الميم وبعد الألف نون، هذه النسبة يجوز أن تكون إلى (الرمان) وبيعه، ويمكن أن تكون إلى (قصر الرمان)، وهو قصر بواسط معروف(2)، وقد نسب إلى هذا خلق كثير، ولم يذكر السمعاني أن نسبة أبي الحسن المذكور إلى أيهما، والله أعلم.

والإخشيدي: نسبة إلى الإخشيد أستاذه المعتزلي(3).

ويعرف أيضا بالوراق؛ لقيامه بأعمال الوراقة التي كانت شائعة في عصره وتعيشه مما كانت تدره عليه من دخل(4).

ولد (الرماني) سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة (ببغداد) وقيل: (سامراء)(5)، وقد شُغل بطلب العلم، فتحلق في حلقات شيوخ عصره مثل: أبي بكر ابن دريد، وأبي بكر السراج، والزجاج، وغيرهم من أساتذة اللغة والنحو، ولكن يبدو أن أكثر شيوخه أثراً في نفسه وفي علمه هو (الإخشيد) المتكلم المعتزلي المشهور في عصره، قال أصحاب التراجم: إنه تخرج على يديه،

---

(1) تاريخ بغداد 16/12 المنتظم 371/14 معجم الأدباء 1826/4 ، الكامل105/9 إنباه الرواة 294/2 وفيات الأعيان 299/3، السير533/16، ، العبر 25/3 ، تاريخ الإسلام وفيات 384هـ، ميزان الاعتدال 179/5، الوافي 372/21، البداية والنهاية334/11، النجوم 168/4، لسان الميزان 287/4، طبقات المفسرين للسيوطي 68 بغية الوعاة 180/2 ، طبقات المفسرين للداودي 1/ 423 الشذرات 442/2 الأعلام 317/4 معجم المؤلفين 483/2 الفهرست لابن النديم 69 تذكرة الحفاظ 986/3، إيضاح المكنون 268/2 هدية العارفين 683/1.

(2) الأنساب 89/3

(3) لسان الميزان210/2

(4) الكامل في التاريخ 166/7

(5) الوفيات/ ابن قنفد ص 219

وكان له أثره البارز في حياته وعلمه حتى لقب (بالإخشيدي)؛ نسبة إليه لكثرة ملازمته له وأخذه عنه وتبنيه لآرائه، ومن تلاميذه: أبوالقاسم التنوخي ، والجوهري وغيرهم(1).

ب - مكانته العلمية وأقول العلماء فيه

قال أصحاب التراجم: إنه كان واسع الإطلاع، غزير العلم، متقنا للأدب وعلوم اللغة والنحو؛ لذلك لقبوه: (بالنحوي، شيخ العربية، صاحب التصانيف).

وكان مغرما بعلوم المنطق والفلسفة، ويتضح ذلك من كتاباته وتحليله للآراء والموضوعات، وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، حتى لقد كان يتفلسف في عباراته؛ فيتخير أوجزها وأدلها على المعنى، سئل يوما: (لكل كتاب ترجمة فما ترجمة كتاب الله عز وجل؟) فقال: {هَـذَا بَـلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ} (2) (3)

لم تقف اهتمامات (الرماني) العلمية عند حدود اللغة والنحو أو علوم المنطق والفلسفة والنجوم، بل تعدت ذلك إلى العلوم الدينية، علوم القرآن والحديث والفقه، حيث ألف فيها مصنفات كثيرة، وقد ظهرت مكانته العلمية فيما ذكره عنه معاصروه ومترجموه.

ذكر السيوطي عن أبي حيان التوحيدي: "إنه لم ير مثله قط: علماً بالنحو، وغزارة في الكلام، وبصراً بالمقالات، واستخراجاً للعويص، وإيضاحاً للمشكل، مع: تأله وتنزه ودين ويقين، وفصاحة وفقاهة، وعفافة ونظافة" (4).

وقال أيضاً أبوحيان: " وأما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق، وعُيِّبَ به؛ لأنه لم يسلك طريقاً واضحاً في المنطق، بل أفرد صناعة، وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً"(5).

وقال الخطيب: مفنناً في علوم كثيرة، من: الفقه والقرآن والنحو واللغة، والكلام على مذهب المعتزلة (6).

وقال الذهبي: قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً -رضي الله عنه- أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعتزلة أبو الحسن (الرماني) (7).

---

(1) لسان الميزان210/2

(2) سورة إبراهيم ، آية (52)

(3) الإتقان 190/1

(4) بغية الوعاة 181/2

(5) الإمتاع والمؤانسة 1 / 133

(6) تاريخ بغداد16/12

(7) تاريخ الإسلام وفيات 384

وقال أيضاً: كان يتشيع وقال: عليّ أفضل الصحابة، وكان من أوعية العلم على بدعته(1).

كان يمزج نحوه بالمنطق حتى قال الفارسي : إن كان النحو ما قاله (الرماني) فليس معنا شيء، وإن كان ما نقوله نحن فليس مع (الرماني) شيء. وكان قال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يفُهم جميع كلامه وهو (الرماني)، وواحد يفهم بعض كلامه وهو الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافي(2).

قال ابن العماد: "جمع بين علم الكلام والعربية، وله قريب من مائةَ مصنف منها تفسير القرآن العظيم، وكان متقناً لعلوم كثيرة منها: القراءات، الفقه، النحو، الكلام على مذهب المعتزلة، التفسير، واللغة"(3).

وذكر البيضاوي: "أنه كان متفنناً في علوم كثيرة من: القرآن، الفقه، النحو، الكلام، على مذهب المعتزلة، وصنف تفسيراً، وله: شرح كتاب سيبويه، وشرح ابن السراج، كماصنف الاستدلال في الكلام"(4).

وقال القفطي: "كان من أهل المعرفة ، مفنناً في علوم كثيرة من: الفقه، القرآن ،النحو، اللغة ، والكلام على مذهب المعتزلة"(5). وله مائة مصنف، وكان مع اعتزاله شيعياً (6).

وقال ابن الجوزي: "زنادقة الإسلام ثلاثه: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان؛ لأنه صرح، وأفضلهم (الرماني)، قال الذهبي: وكان من تلامذة (أي: أبوحيان) علي بن عيسى (الرماني)، وقد بالغ في الثناء على (الرماني) في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ، فانظر إلى الحامد والمحمود وأجود الثلاثة (الرماني) مع اعتزاله وتشيعه، وقد ذكره ابن النجار وقال: له المصنفات الحسنة وغيرها وكان فقيراً صابراً متديناً(7).

---

(1) السير533/16

(2) الوافي372/21

(3) الشذرات109/3

(4) طبقات المفسرين الادنه وى ص87 ، 88

(5) إنباه الرواة 294/2

(6) طبقات المفسرين الادنه وى ص87 ، 88

(7) طبقات الشافعية / ابن قاضي شهبة 1-186

ج- وفاته.

توفي ببغداد وعمره ثمان وثمانون سنة، في يوم الأحد، الحادي عشر، من جمادي الأولى، لسنة 384هـ(1). ودفن بالشونيزية(2)

وتوفى على مذهب القاضي الشافعي والشيخ أبي الفضل العراقي(3)

د- آثاره العلمية.

صنف (الرماني) مجموعة ضخمة من المصنفات والمؤلفات، قدرتها بعض المصادر بما يقرب من مائة كتاب، معظمها في علم النحو الذي برع فيه واشتهر به، ومن تلك المؤلفات:-

1. تفسير القرآن المجيد: وقد اختصره عبد الملك بن علي المؤذن الهوري
2. النكت في إعجاز القرآن: وهي رسالة علمية بليغة طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، بدار المعارف بمصر، وستكون محور دراستنا؛ لتوضيح مفهوم (الرماني) لأوجه الإعجاز القرآني.
3. الجامع في علوم القرآن.
4. ألفات القرآن.
5. شرح معاني القرآن للزجاج.
6. التفات القرآن.

وغيرها الكثير من كتب اللغة والنحو(4).

وقد ذكر ابن النديم: أن مصنفات علي بن عيسى (الرماني) التي صنفها في التشيع لم يكن قال بها، وإنما صنفها تقية؛ لأجل انتشار مذهب التشيع في ذلك الوقت(5).

وكان (السرى الرفا)، جاراً لأبي الحسن (الرماني) بسوق العطش، وكان كثيراً ما يجتاز (الرماني) وهو جالس على باب داره، فيستجلسه ويحادثه ويستدعيه إلى أن قال بالاعتزال.

---

(1) تاريخ بغداد 17/12 ،إنباه الرواة 294/2، وفيات الأعيان 299/3، ميزان الاعتدال 149/3، الوافي بالوفيات476/6، طبقات المفسرين السيوطي رقم 74 طبقات المفسرين الداوودي 149/1، بغية الوعاة 181/2. النجوم الزاهرة 168/4 تبصير المنتبه 151/1.

(2) الكامل 166/7، وفيات الاعيان 299/3.

(3) طبقات المفسرين الادنه وى ص87 ، 88.

(4) لمعرفة مؤلفاته انظر: كشف الظنون 111/1، 447، 571، 635، 2/ 1397، 1427، 1729، 1793، 1977، معجم المؤلفين162/7

(5) الفهرست ص 63 - 64

فلما طال ذلك عليه أنشد **(الرماني)**:

أقارع أعداء النبي وآله　　قراعاً يفل البيض عند قراعه
وأعلم كل العلم أن وليهم　　سيجزى غداة البعث صاعاً بصاعه
فلا زال من والاهم في علوه　　ولا زال من عاداهم في اتضاعه
ومعتزلي رام عزل ولايتي　　عن الشرف العالي بهم وارتفاعه
فما طاوعتني النفس في أن أطيعه　　ولا أذن القرآن لي في إتباعه
طبعت على حب الوصي ولم يكن　　لينقل مطبوع الهوى عن طباعه(1)

ويظهر واضحاً مما ذكره(ابن النديم) سواء أكان في تشيع (الرماني) أم اعتزاله أنه كان يفعل ذلك؛ تقية ومجاراة لما كان سائداً في عصره، وشعره الذي أنشده يدلنا على أنه باقٍ على محبته للنبي صلى الله عليه وسلم وآله الكرام، بعيداً عن التشيع والاعتزال، رغم اشتهاره بالاعتزال.

ثانياً: التعريف برسالة (الرماني).

رسالة (الرماني) "النكت في إعجاز القرآن"طبعت مع رسالتين أخريين، إحداهما "بيان إعجاز القرآن" لأبي سليمان الخطابي، والثانية" الرسالة الشافية" لأبي بكر الجرجاني، وذلك ضمن، كتاب بعنوان "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" وقد حققها فعلق عليها محمد خلف الله أحمد، والدكتور: محمد زغلول سلام، وهي من منشورات دار المعارف بمصر، وقد طبع الكتاب للمرة الثالثة سنة 1976م، ومع ذلك فالكتاب نادر، ونسخه محدودة، وتقع رسالة (الرماني) في ثمان وثلاثين صفحة من القطع المتوسط(2)، وهي رسالة إعجازية، أدبية بلاغية قيمة، عكست لنا اختصاصه العلمي، ومنهجه الاستدلالي التحليلي، في توصيل أفكاره وآرائه، ومفهومه للإعجاز القرآني، وقد أجاب بتلك الرسالة على سؤال حول النكت في إعجاز القرآن، فقال: تظهر وجوه إعجاز القرآن في سبع جهات وهى: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

ثم قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات، وقال: إن ما كان في أعلاها معجز، وهو بلاغة القرآن.

ثم عَرَّف البلاغة بأنها: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. وأعلى طبقة في الحسن بلاغة القرآن. كما حصر (الرماني) البلاغة القرآنية فجعلها في عشرة أقسام وهي: الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف والتضمين، المبالغة، وحسن البيان(3).

---

(1) الفهرست 218

(2) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن صت75-113.

(3) المرجع السابق ص75-76.

ولما كان (الرماني) من علماء اللغة البارزين في عصره ؛ فقد خص الجهة البلاغية من رسالته بجانب كبير، حيث خصص لكل قسم من أقسام البلاغة باباً على حدة، أبرز فيه سماته البلاغية وأدق خصائصه، والملاحظ عليه أيضاً أنه أولى اهتماماً بتوفر الدواعي، والصرفة.

وختم كتابه بالإجابة عن سؤال أورده، فقال: " فإن قيل: فَلِمَ اعتمدتم على الاحتجاج بعجز العرب دون المولدين، وهو عندكم معجز للجميع، مع أنه يوجد للمولدين من الكلام البليغ شئ كثير ؟ قيل له: لأن العرب كانت تقيم الأوزان والإعراب بالطباع، وليس في المولدين من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان، والعرب على البلاغة أقدر؛ لما بينا من فطنتهم لما لا يفطن له المولدون من إقامة الإعراب بالطباع، فإذا عجزوا عن ذلك فالمولدون عنه أعجز⁽¹⁾.

وقد روى هذه الرسالة القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي، رضي الله عنه⁽²⁾.

ثالثاً: عصر (الرماني)

عاش (الرماني) في آخر القرن الثالث وأغلب القرن الرابع الهجري، ذلك الزمن الذي عاش فيه يُعدُّ من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي؛ حيث نضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها، وهو غني بعلماء كثر ذوي شهرة واسعة في شتى ميادين العلوم، ولا تزال آثارهم إلى وقتنا الحاضر حيث نعيش على التراث الفكري الذي خلَّفه أولئك العلماء الأفذاذ، والذين امتاز عصرهم بسمات سياسية، وثورات داخلية، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: السمات السياسية

يمكننا أن نجعل العصر الذي عاش فيه ((الرماني)) حداً فاصلاً بين عهدين: عهد قوة الخلفاء – رغم بروز العنصر الفارسي – وعهد الضعف وتقلص سلطة العباسيين، وقد توالى خلال تلك الفترة التي عاش فيها ((الرماني)) ثمانية خلفاء، كانوا يقعون تحت سيطرة العسكريين الأتراك (247-334) أو تحت سيطرة الفرس الشيعة (334-447).

وأولئك الخلفاء ما استطاع أحد منهم أن يثبِّت مركزه؛ فيفرض سلطانه على الأتراك أو الفرس الذين كانوا طبقة: القواد والحجاب والأمراء.

---

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص113

(2) المرجع السابق ، ص75 – الحاشية

فقد قتلوا (المتوكل)(1) في قصره الجعفري، الذي بناه شمال(سامراء) بعدما عجز عن تحويل عاصمة الخلافة إلى الشام، وكان المتهم بقتله الأتراك وابنه المنتصر، ثم قتل المستعين(2) بعد أن رحل إلى بغداد مغضباً مقهوراً، ثم حُوصِر فيها بتواطؤ مع ابن عمه (المعتز)(3)، ومات في ذلك خلق كثير، وقد كانت مصيبة (المعتز) أنكى وأشد؛ إذ تألب الأتراك وثاروا عليه وطالبوه بالأموال، ولما لم يكن في الخزينة شيء يكفيهم؛ خلعوه ثم قتلوه(4)، ونفس المصير قد حاق (بالمقتدر) الذي قتله مؤنس الخادم سنة320هـ ، فظلت جثته ملقاة على قارعة الطريق، ولم يسلم الخليفة المهتدي الزاهد الذي قيل أنه اعتكف على الصوم مدة(5)

والحقيقة أن العصر الفاسد والأوضاع المختلفة، لم تكن في حاجة إلى خليفة زاهد، أو رجل عفيف فقط، بل كانت الحال تستدعي حاكماً صارماً قوياً يستطيع إعادة الأمور إلى نصابها بقطع دابر الفتنة ودعاة التمزق.

ثانياً: الثورات الداخلية.

هناك أسباب وعوامل عديدة، كانت وراء قيام الكثير من الفتن والاضطرابات الداخلية التي اتسم بها عصر (الرماني)، حتى مزق إلى دويلات، وعلى رأسها: ضعف مركز الخلفاء وسلطتهم، وانتشار الاحتكارات الاقتصادية، والجشع المادي الذي ينم عن وجود طبقات شعبية فقيرة ومحرومة، ومنها أيضا الأجناس الدخيلة التي كانت تعمل من خفاء أو سفور على تمزيق وحدة الأمة، وإنهاك الحكم المركزي؛ كي يسهل انقضاضها عليه، ومنها النزاعات المذهبية والسياسية حول الرأي أو الحكم.

ظهرت جماعة (القرامطة) الذين كانوا قد هيأوا أنفسهم في (البحرين)، ثم ساروا للانقضاض على العراق والشام، فواجهوا العباسيين بجيوش كثيفة، وانضم إليهم أيضا كثير من أفراد الطبقات الكادحة الفقيرة، إلا أن خطرهم الحقيقي لم يكن يهدد النظام الحاكم فقط، بقدر ما كان يهدد المجتمع الإسلامي بالإلحاد والتشكيك ، ولاسيما أنهم من فرقة شيعية متطرفة كونت مجتمعاً يدين

---

(1)أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي (205-247هـ)وهو الخليفة العباسي العاشر.

(2)أحمد بن محمد بن المعتصم، ولد سنة 220هـ. بويع بالخلافة سنة 248هـ. ولم يزل خليفة إلى أن خلع 252هـ.

(3) مرآة الجنان158/2.

(4)الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص199.

(5)مرآة الجنان 166/2-167.

بعقائد هدامة للإسلام،: كالدعوة إلى الاكتفاء في الصوم بيومين، وتحليل الخمر، وتحويل القبلة إلى القدس وعوض الكعبة التي اقتلع أبو طاهر القرمطي سنة 317هـ حجرها الأسود ثمحمله إلى هجر، ولم يُرَدْ إليها إلا سنة 339هـ؛ حين انهارت قوتهم، واستشرى فيهم الضعف.

وقد حكى التاريخ عن أبي طاهر ذلك، أنه صعد على باب البيت بعد قتل أمير مكة، ثم أخذ يصيح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

إلى أشعار أخرى، فيها: عبث بالدين، وفسق ومجون. وكثيراً ما سجل المؤرخون تعرض (القرامطة) لقوافل الحجاج وقطع طريقهم، وامتناع الناس عن أداء الفريضة أحياناً؛ خوفاً من بلائهم(1).

وبالإضافة إلى تلك الثورات الكبرى المنظمة، كانت هناك ثورات وانتفاضات شعبية داخل العاصمة بغداد، لا تلبث تتفجر؛ نتيجة الغلاء وارتفاع الأسعار؛ أو نتيجة انتشار اللصوص، وما صاحب ذلك من: هلع وخوف وتهديد للأمن والحريات، وكثيراً ما استعملت هذه الوسيلة خاصة في الضغط على الخلفاء؛ لتقديم تنازلات(2).

وأما عن الروم ، فكانوا ينظرون وراء ستار شفاف إلى الأحداث الدائرة داخل الدولة العباسية بأطرافها، وكان الروم يتربصون الفرص للإغارة على سواحل مصر والشام والجزيرة، وهكذا كانت الحدود العربية البيزنطية طيلة ذلك العصر وما تلاه مهددة باستمرار بحملات النصارى الذين كانوا يخططون للوصول إلى (القدس)، فكانوا يستفزون شعور المسلمين كما حدث سنة 315هـ حين دخلوا (سميساط) ثم اخذوا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك، وضربوا في الجامع بالناقوس أوقات الصلوات (3).

وأما المجتمع العباسي فقد تكون آنذاك من: العرب، والفرس، والأتراك، وكان الفرس والأتراك بيدهم مقاليد السلطة والنفوذ، ومصادر المال والثراء، فهم قد جُلبوا عن طريق الأسر والسبي في الحروب المتواصلة، فامتلأت بهم قصور الخلفاء والوجهاء، واتُخذ منهم المغنون والفتيان والجواري والوصفاء، ثم جُلب الزنوج السود المجلوبون من أفريقيا الشرقية؛ لخدمة الأرض، والقيام بالأعمال الشاقة؛ لما عرفوا به من: صحة الأبدان وميول للطرب والمرح، وخفة الدماء وأما العناصر القوية الثلاثة: (العرب والفرس والأتراك) فقد عاشت في صراع مستمر فيما بينها، وقد اتخذ ذلك الصراع المتعصب أشكالاً من: القوة والعنف، فتسابقوا لتكوين دول يصارع بعضها بعضاً (4). وقد عاش (الرماني) تلك الفترة ببغداد، وهي: منبر العلوم والأدب، ومنتدى الأفكار، ومجمع العلماء، ومحج الطلاب من كل فج عميق، حيث تصارعت

---

(1) انظر: مرآة الجنان 272/2 .

(2) تاريخ الإسلام 22/3.

(3) انظر: الكامل 169/8.

(4) ظهر الإسلام 58/1.

في حلبتها آنذاك المذاهب الدينية والتيارات السياسية؛ فهوت إليها العقول والأفئدة، وهي في ذلك كله كانت تأتم بها الأمصار والحواضر، وتقلدها في طابعها وحياتها العواصم الناشئة.

المبحث الثاني

تأصيل وتقعيد قضايا في الإعجاز

كان من الضروري أن نقف على بعض قضايا في الإعجاز؛ لنضع القواعد والضوابط التي تنضبط بها ، ويتمثل ذلك في المعرفة الدقيقة لكلٍ من: الوجه المعجز، ودليل الإعجاز، وشرط الإعجاز أو المعجزة، وأدلة صدق الوحي والنبوة، فإذا حصل التمييز بين هذه القضايا ومعرفة حدود كل قضية مما قد يقع فيها الاشتباه والخلط؛ فقد تحقق التأصيل والضبط؛ وأُمن اللبس والخلط، إذ الأصل أن نعطي كل شيء اسمه الحقيقي دون: تغيير أو تبديل أو تزوير في المسميات ، وإليكم ذلك في المطالب التالية :-

المطلب الأول: أدلة إثبات الإعجاز للقرآن الكريم.

إذا أردنا أن نثبت الإعجاز للقرآن الكريم نقول : إن عجز العرب عن معارضة القرآن بمثله؛ دليل على إعجاز القرآن، فلو كان القرآن ممكناً؛ لما توانى العرب لحظة في معارضته، وبالتالي يظهر أهم دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان العرب أحرص ما يكونون على نفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، خاصة: وأنه قد: سفه أحلامهم، وطعن في معتقداتهم.

قال أبو سليمان الخطابي: "وذلك أن النبي _ صلى الله عليه وسلم_ قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد بقي _ صلى الله عليه وسلم_ يطالبهم به مدة عشرين سنة: مظهراً لهم النكير، زارياً على أديانهم، مسفهاً آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه ثم ناصبوه الحرب: فهلكت فيها النفوس، وأُريقت المُهج، وقُطعت الأرحام، وذهبت الأموال.

ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لما تكلفوا تلك الأمور الخطيرة، ولما ارتكبوا تلك الفواقر المبيرة، ولما تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا ما لا يفعله عاقل ولا يختاره ذو لب...، فكيف كان يجوز - على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة ولزوم الضرورة – أن يغفلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه، وأن يضربوا عنه صفحاً، ولا يحوزوا الفلج والظفر فيه لولا عدم القدرة عليه والعجز المانع منه..."؟ (1)

---

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- بيان إعجاز القرآن/ الخطابي ص 21، 22.

هكذا نرى (الخطابي) قد استدل على إعجاز القرآن؛ بعجز العرب عن معارضته رغم التحدي الذي طرق سمعهم وأقلق مضجعهم، ولو كانوا لذلك قادرين ما تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل؛ فدل ذلك على عجزهم عن ذلك الأمر المعجز.

فهذا يُعدُّ دليلاً يثبت إعجاز القرآن الكريم، ولا نستطيع أن نعتبره شيئاً آخر غير ذلك، ومما يؤكد هذا المعنى أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد ذكر في رسالته الشافية أدلةً على عجز العرب من حين تُحدوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين ... ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضاً، وأن علم ذلك علم يخص أهله، وأن الأصل والقدوة فيه للعرب، ومَنْ عداهم تبع لهم وقاصر فيه عنهم... وإذا ثبت أنهم الأصل والقدوة، فإن علمهم العلم، فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تُلي عليهم القرآن وتُحدوا إليه، ومُلئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ومن التقريع بالعجز عنه، وبتّ الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه، وإذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله، ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلاً على وجه من الوجوه ..."(1).

وهكذا تحدث (الجرجاني) في رسالته كلها جمعاء عن الأحوال والأقوال الدالة على عجز العرب عن معارضة هذا القرآن؛ مما يؤكد أنه كلام معجز لهم ولغيرهم، ولم يُضَمِّن رسالته تلك شيئاً من وجوه الإعجاز، وإنما تحدث عن وجه إعجازه في كتابه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) حيث اعتبر أن النظم فقط هو الوجه المعجز، وليس شيئاً غير ذلك.

وبناء عليه؛ فقد فرَّق الجرجاني بين إثبات الإعجاز ووجه الإعجاز، فلم يخلط بينهما؛ وذلك لوضوح الفرق عنده بين كلا الأمرين.

المطلب الثاني: الوجه المعجز للقرآن الكريم

إذا قصدنا الحديث عن الوجه المعجز للقرآن الكريم فلا مجال لخلطه بأدلة إثبات الإعجاز التي سبق ذكرها، ولا بغيرها مما سيأتي، وإنما نتحرى في ذلك أمرين **لا بد منهما**:

الأول: ذلك الأمر الذي وقع من جهته التحدي، والقرآن قد تحدى العرب بما اشتهروا به، وقد اشتهروا بالبلاغة والبيان، ولذلك قال الدكتور/ محمد عبد الله دراز:" ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية؛ لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً في سورة منه" (2).

---

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- الرسالة الشافية/ للجرجاني ص117- 119.

(2) النبأ العظيم – ص 79 .

ومعلوم أن كل المعجزات التي بعث بها الأنبياء بما في ذلك معجزة محمد صلى الله عليه وسلم كانت من جنس ما اشتهر به أقوامهم، فلما كان قوم (فرعون) قد اشتهروا بالعلوم الرياضية والطبيعية والسحر والصناعة، بعث الله إليهم موسى بمعجزة تناسب عقولهم واستعداداتهم الفكرية، ألا وهي (العصا)، حيث انقلبت إلى حية تسعى، وبتلك المعجزة يظهر الفارق بين قدرتهم البشرية المتمثلة في السحر، وقدرة الله المعجزة، ولما كان (الرماني)ون قد اشتهروا بعلم الطب، بعث الله إليهم (عيسى) عليه السلام بمعجزة: إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب قد اشتهروا بعلوم اللغة حتى بلغوا من الفصاحة والبلاغة والبيان درجة لم تتفق لغيرهم من الأمم؛ جعل الله المعجزة الكبرى لمحمد صلى الله عليه وسلم كتاباً معجزاً لهم ولسائر الخلق في نظمه وأسلوبه وفصاحته وبلاغته، فقامت عليهم الحجة بأقوى مما قامت معجزات موسى وعيسى على قومهما.

وهكذا كان اختلاف المعجزات حسب اختلاف الناس فيما اشتهروا به ، إذ إن غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صدق دعواه، فكان لا بد أن تكون تلك المعجزة جارية مع تفكير مَنْ تتحداهم آخذة بقلوبهم وعقولهم (1) .

بهذا ندرك أن التحدي كان بالجانب اللغوي الذي اشتهر به العرب يوم نزول القرآن، وغير العرب تبعاً لهم، ولذلك لم نجد أحداً يخالف في إعجازه اللغوي، أو يجحد به إلا إذا كان مُلحداً ومنكراً للقرآن جملة وتفصيلاً، وهذا لا يُعتد برأيه، ولا يسمع لقوله.

ولذلك قال الرافعي : "أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن، وما حققناه بعد البحث ثم انتهينا إليه: بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر، وانضاج الروية، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه" (2) .

فواضح أن الرافعي قد تحدث بصراحة عن وجه إعجاز القرآن خاصة، ثم حصره في النظم والتركيب والأسلوب، وذلك كله راجع إلى الناحية اللغوية، لأنها كما أشار (دراز) سابقاً هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً.

الثاني: العلة التي وقفت سداً منيعاً في وجه الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله، بحيث كانت متحققة في كل سورة من سور القرآن بلا استثناء باعتبارها الحد الأدنى للتحدي، وبعد النظر والتمحيص تبين أن العلة في عجز الخلق عن معارضة القرآن بمثله، هو ذلك الأمر الأول الذي وقع من جهته التحدي،ألا وهو الجانب اللغوي، فلم يعجزهم حقيقة أمر آخر غير بلاغته وفصاحته، وإن كان قد أشكلت على كثير من العلماء قديماً وحديثاً أمور حسبوها علة في العجز

عن معارضة القرآن، لكنها في الحقيقة شيء آخر، فيمكن أن تكون أدلة على صدق الوحي والنبوة، وتثبت أن القرآن هو كلام الله قطعاً، وأن محمداً _صلى الله عليه وسلم_ هو رسول الله إلى خلقه قطعاً فهذا شيء، والوجه المعجز شيء آخر.[1]

ولذلك نجد الخطابي قد بحث عن العلة في إعجازه فقال: "قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا، وذهبوا فيه كل مذهب من القول وما وجدناهم بعدُ صدروا عن ري؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن؛ ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته ..."(1)

ونراه قد استعرض بعض أقوال في علة إعجاز القرآن لا يرتضيها كالصرفة، حيث قال: "وزعم قوم إلى أن العله في إعجازه الصرفة ... إلا أن دلالة الآية(2) تشهد بخلافه ..." (3)

إلى أن قال "زعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما تضمنه من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان ... ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سوره من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها ... وقد دل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"(4).

ويظهر من خلال ما سبق المراد الدقيق بوجه إعجاز القرآن الكريم، فهو الذي جمع بين التحدي به من جانب والعلة في العجز من جانب آخر، وعليه فيمكن اعتبار الوجه المعجز بأنه" ذلك الأمر الذي وقف سداً منيعاً أمام الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله، وقد وقع من جهته التحدي".

المطلب الثالث : أدلة صدق الوحي والنبوة

وهذه الأدلة متحققة بكثرة في كتاب الله، وهي دالة على أن القرآن كلام الله، وأن محمداً _صلى الله عليه وسلم_ هو رسول الله، وهي غير الوجه المعجز، وغير أدلة إثبات الإعجاز، فلكل واحدة مجالها وميدانها فأدلة صدق الوحي والنبوة لا غنى عنها لأهل هذا الزمان الذي

---

(1) انظر: روح الدين الإسلامي /عفيف طبارة ص28، وتأويل مشكل القرآن/ ابن قتيبة ص12، وتفسير القرآن الحكيم/ محمد رشيد رضا 217/1، والإعجاز في دراسات السابقين/ عبد الكريم الخطيب ص89 .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / الرافعى ص 156 .

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – بيان إعجاز القرآن ص 21

(2) يقصد قوله تعالى" {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }الإسراء88 من مصحف النور .

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- بيان إعجاز ص 22- 23

(4) القرآن المرجع السابق ص 23-24

تعجمت لغتنا فيه: فما عدنا ندرك عظمة الإعجاز البياني الذي تُحدى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فعجزوا، فهو دالٌ قطعاً على صدق الوحي والنبوة، ولكن دون العكس، فليس أدلة صدق الوحي والنبوة تصح أن تكون وجوهاً للإعجاز القرآني، وذلك لكونها غير مُتحدى بها أصلاً، لأن كثيراً منها وبالذات الإشارات العلمية لم تكن معرفة في زمان نزولها، فكيف يتحدى الله الناس بما لا يعرفون؟

كما أنها لا تمثل العلة التي هي سر الإعجاز في القرآن، والتي لأجلها انقطع الناس عن المعارضة؛ فثبت عجزهم.

ومع ذلك فكثير من العلماء قديماً وحديثاً يخلط بين الأمرين، فيظن أن أدلة صدق الوحي والنبوة هي وجوه للإعجاز أيضاً، وهذا غير صحيح، ولعل العاطفة تجاه القرآن الكريم دفعتهم لمثل ذلك الأمر من باب الانتصار لكتاب الله، والقرآن معجز قطعاً سواء أتعددت وجوه إعجازه أم لم تتعدد، بل إن الانتصار العاطفي بازدياد عدد وجوه الإعجاز وهي ليست كذلك قد يضعف الإعجاز ويؤثر سلبياً فيه، ونضرب على ذلك مثلا بأخبار الغيب سواء أكانت متعلقة بالماضي أم الحاضر أم المستقبل، فقد عدها كثير من العلماء وجوهاً لإعجاز القرآن الكريم (كالباقلاني) مثلاً فقد عدَّ الغيب المستقبلي وجهاَ مستقلاَ، والغيب الماضي وجهاً آخر من وجوه الإعجاز، كماعد البلاغة وجهاً ثالثاً بما فيها من بديع النظم، وعجيب التأليف وقد فرَّع وفصَّل من هذا الوجه عشرة وجوه(1).

هذا مثال للقدامى، أما المحدثون فقد ذكر (محمد رشيد رضا) في تفسير (المنار) فصلاً بعنوان (فصل في تحقيق وجوه الإعجاز بمنتهى الاقتصار والإيجاز)(2) ذكر فيه سبعة وجوه لإعجاز القرآن منها (الوجه الثالث) وهو اشتماله على الأخبار بالغيب من ماضٍ: كقصص الرسل مع أقوامهم، ومن حاضر في عصر تنزيله، كقوله تعالى: {**الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**} (3).

ومن أظهر هذه الأخبار وعده تعالى بحفظ القرآن من: النسيان والتغيير والتبديل في قوله تعالى: {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**} (4).

---

(1) انظر: إعجاز القرآن/ الباقلاني ص33- 48.

(2) انظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير ب(تفسير المنار) ج1 ص198

(3) سورة الروم، الآية 1-5 .

(4) سورة الحجر، الآية9.

وهكذا نرى القدامى والمحدثين قد أشاروا إلى الإخبار بالغيب باعتباره وجهاً من وجوه إعجازه، رغم أن ذلك هو دليل على صدق الوحي والنبوة؛ لأن محمداً _صلى الله عليه وسلم_ ما كان ليعلم الغيب، فمن الذي أخبره بما كان؟، وما هو كائن؟، وما سيكون؟، وقد تحقق ذلك بتمامه وكماله كما أخبر الله في كتابه، لا شك أن الذي يعلم غيب السموات والأرض هو الذي أخبر محمداً بذلك، فثبت بذلك صدق الوحي وصدق النبوة، وهذا غاية ما يحتاجه الإنسان في هذا الزمان وكل زمان أن يجد ما يقطع له بصدق الوحي وصحة النبوة ليكون ذلك سبباً في إيمانه بهذا الدين وبنبي الله الأمين، فيشهد عندها: بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولقد نفى أبو سليمان الخطابي أن تكون أخبار الغيب في القرآن قد مثلت وجهاً من وجوه إعجازه، وذلك حيث قال: ((وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان ... لكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل الله سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال : { **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**} (1) من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه)) (2).

فالخطابي قد نفي أن يكون الإخبار بالغيب وجهاً من وجوه الإعجاز؛ لكونه غير موجود ومتحقق في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل الله كل سورة هي معجزة قائمة بنفسها، فالسورة التي تخلو من الإخبار بالغيب هل تخلو من الإعجاز على زعم القائلين بذلك؟ وهل يمكن المجيء بمثلها؟ هذا غير صحيح وغير واقع، فدل على أن الإعجاز هو شيء آخر غير ذلك؛ لأنه لا بد أن يتحقق في كل سورة بلا استثناء، ومما يؤكد ذلك: أن الكتب السماوية السابقة فيها إخبار بالغيب ومع ذلك فهي ليست معجزة، ولم يقل أحد بذلك، ويُقال مثل ذلك: في الإشارات والحقائق العلمية التي تضمنتها بعض سور القرآن دون سواها، فهو ليس بالأمر العام المتحقق في كل سورة، وليس هو الأمر الذي وقع من جهته التحدي في أي سورة من كتاب الله تعالى، لكنه إن تحقق وتم التوافق بين الإشارات القرآنية العلمية، وبين الحقائق التي يكتشفها الناس عصراً بعد عصر؛ فإن ذلك يُعد دليلاً على صدق الوحي والنبوة، فمن أخبر النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بتلك الإشارات العلمية؟ لو لم يكن ذلك من عند الله الذي خلق الكون، وأودع فيه تلك الحقائق التي يكتشفها الناس بين الحين والآخر، ولذلك قال تعالى: {**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**}(3)

---

(1) سورة البقرة ، آية (23)

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – بيان إعجاز القرآن ص23- 24.

(3) سورة فصلت، الآية 53

فالآية داله على الهدف والغاية التي لأجلها سيكشف الله لنا الآيات في الآفاق وفي الأنفس، هذه الغاية هي أن بينت للناس أن القرآن حق، وأن رسول الله حق، وذلك من قوله: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} هذا هو المراد بدليل صدق الوحي والنبوة، وهكذا يقال في سلامة القرآن على طوله من: التناقض والتعارض والاختلاف خلافاً لجميع كلام البشر(4)، وهو المراد بقوله تعالى: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}** (5) فالآية صريحة في اعتبار عدم التناقض والاختلاف دليلاً على أن القرآن من عند الله، فهو دليل إذاً على صدق الوحي والنبوة وهكذا يُقال في حكمة البشر مع التشريع وغيرها من الأدلة والكلام يطول في مثل هذا المقام، ونختم هذه النقطة في تحديد المراد بأدلة صدق الوحي والنبوة بما ذكره الشيخ محمود شاكر من حقيقتين ونتيجة، وذلك حيث قال في النتيجة: "فالقرآن المعجز هو البرهان على صحة النبوة، وأما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن؛ مما يقتضي أن جملة ما في القرآن من حقائق الأخبار عن الأمم السابقة من: أنباء الغيب، و دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات مما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الإعجاز المتمثل في النظم والبيان"(1).

المطلب الرابع: أشراط الإعجاز والمعجزة

إن الحديث عن الأشراط سواء أكان للإعجاز أم المعجزة حديث: لا علاقة له بوجوه الإعجاز، ولا بدليل الإعجاز، ولا بأدلة صدق الوحي والنبوة؛ فلكل مجاله وميدانه، وهذه الأشراط لا يتم إعجاز القرآن إلا بتحققها، وكذلك المعجزة لا تتحقق إلا بتوفر أشراطها، سواء أكانت المعجزة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، أم كانت لأي نبي آخر.

قيل في أشراط الإعجاز أنها ثلاثة لا يتحقق الإعجاز إلا بها وهي:

1- التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة.

2- وجود المقتضى الذي يدفع المتحدى إلى المنازلة.

3- عدم وجود مانع من المباراة(2).

وقد تحدث العلماء أيضاَ عن أشراط المعجزة، وهم ما بين موجز ومسهب، زيادة في توضيحها وتحديدها، واحترازاَ من دخول غيرها فيها، وقد ذكروا من هذه الأشراط: أن تكون من فعل الله

---

(4) ذكر هذا الوجه من الإعجاز محمد رشيد رضا في تفسيره المنار1/198 الوجه الرابع.

(5) سورة النساء، الآية(82)

(1)انظر: الحقيقتين والنتيجة فى مقدمته لكتاب "الظاهرة القرآنية/ لمالك بن بني" ،ص16- 21.

(2) انظر: أصول الدين الإسلامي/ الدوري ص283، علم أصول الفقه/ عبد الوهاب خلاف ص25.

أو ما يجري مجرى فعله، ليس للنبي فيها يد، وإن ظهرت على يديه، ومنها: ألا يقدر عليها إلا الله، وأن تكون ناقضة للعادة التي اعتادها الناس، وأن يستشهد بها مدعي النبوة على الله عز وجل، وأن يظهر الأمر الخارق على يد مدعي النبوة أو الرسالة وهو صادق في دعواه، وأن تكون المعجزة مقارنة لدعوى النبوة فلا تكون متقدمة أو متأخرة عنها، وأن تكون موافقة لدعوى النبوة، وألا تكون مكذبة له في دعواه، وإن تتعذر معارضتها فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، وأن يكون ذلك كله في زمن التكليف تحسباً من خوارق أشراط الساعة وانتهاء التكليف(3) فلا مجال إذن للخلط بين هذه الأشراط وغيرها مما له علاقة بالإعجاز، والأصل هو وضع الشيء في نصابه، دون: تغيير أو تبديل أو تحريف في المسميات، ودون تعصب للرأي فالحكمة هي ضالة المؤمن، وهو أولى بها أنَّي وجدها.

المبحث الثالث

مناقشة وجوه الإعجاز عند ((الرماني))

سئل الشيخ أبو الحسن (الرماني) عن "النكت في إعجاز القرآن" دون التطويل بالحجاج، فقال: وأنا أجتهد في بلوغ محبتك ... وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة. (1) فالسائل قد سأل عن وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ بديل أنه افتتح الإجابة بقوله: "وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات" فالأصل أن ينحصر حديثه في الوجوه فقط دون سواها، وتراه قد ذكر سبعة وجوه على حد قوله- فقد بدأ بالبلاغة، ثم استغرق في شرحها أغلب رسالته(2)، ولم يترك للوجوه الستة الباقية إلا قرابة ثلاث صفحات فقط.

وسوف نتابع مناقشة تلك الوجوه عند (الرماني) ؛ لنرى مدى قربها أو بعدها عن وجوه الإعجاز، ونبدأ بما بدأ (الرماني) بشرحه، **وذلك فيما يلي**:-

أولاً : البلاغة

تحدث ((الرماني)) عن البلاغة؛ باعتبارها وجهاً من وجوه الإعجاز، وهذا أمر لا يُختلف عليه، وقد قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقه، ومنها ما هو في

---

(3) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ عبد السلام اللوح ص11- 14 .

(1) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم – النكت في إعجاز القرآن الكريم ص75

(2) رسالة من صـ75-109 .

أدنى طبقة، ومنها ما هو الوسائط بين أعلى الطبقة وأدنى الطبقة، ثم اعتبر أعلاها طبقة بأنه معجز، وهو بلاغة القرآن، وما عداها فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس(3).

ثم عَرَّفَ البلاغة بأنها: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" وذلك بعد أن نفى تعريفين آخرين؛ لم يرهما صالحين لتعريف البلاغة(4) ، ثم قسَّم البلاغة إلى عشرة أقسام هي: (الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، وحسن البيان).

وقد تناول هذه الأقسام العشرة واحداً تلو الآخر حسب ترتيبها المذكور أعلاه، وذلك بتعريف كل قسم، مع تقسيمه إن احتمل التقسيم، واستدل على ذلك بالآيات القرآنية، وقليلاً ما استشهد بالشعر إلا ما احتاجته الموازنة بين الآية وما في معناها من كلام العرب(5)

وهكذا فقد شرح ((الرماني)) البلاغة بعد تقسيمها إلى عشرة أقسام شرحاً عاماً لا يختلف عن شرح أهل الاختصاص في اللغة والبلاغة، ولكنه تميز فقط بكثرة الاستشهاد بالآيات؛ للدلالة على أن القرآن فيه هذه الأقسام العشرة .

ونقول: هل كان القرآن معجزاً ببلاغته؛ لكونه تضمن هذه البلاغة بأقسامها العشرة؟ وإن كان الأمر كذلك، فهل يمكن أن نجمع تلك الأقسام العشرة للبلاغة في مقدار حجم سورة قرآنية؟ وهل نسلم إن تحققت أنه قد تمت المعارضة للقرآن بمثله؟ طبعاً الجواب: لا نسلم، ولا يمكن أن تتم المعارضة بمثل سورة من كتاب الله تعالى، رغم تحقق تلك الأقسام العشرة للبلاغة في مقدار حجم السورة القرآنية.

إذا ليس هذا هو السر والعلة في الإعجاز البلاغي أنه قد جمع تلك الأقسام العشرة، فما زالت العلة: غامضة، والبرهنة قاصرة، والكيف مجهول، ولعل هذا هو الذي دفع أبا سليمان الخطابي، وهو من المعاصرين للرماني أن يُعرِّض بأولئك الذين قالوا بالإعجاز البلاغي دون إثبات لعلة ذلك الإعجاز، وذلك حيث قال: "وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، وفي كيفيتها يعرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم الانفصال، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد، وضرب من غلبة الظن دون تحقيق له وإحاطة العلم به قلت: وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ، ولا يشفي من داء

---

(3) انظر: المرجع السابق ص75

(4) انظر: النكت في إعجاز القرآن الكريم ص75-76.

(5) انظر: المرجع السابق ص 76- 109

الجهل به، وإنما هو إشكال أحيل به على إيهام"[1] ثم نجد الخطابي قد قال بالإعجاز البلاغي ثم يحاول أن يكشف العلة في ذلك الجانب الإعجازي، حيث برهن بكلام مقنع ومعقول، وذلك حيث قال : "فدل النظر وشاهد العبر على أن السبب له، والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوته ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية: فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل ... فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعه شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة ... وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله؛ لأمور منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض ... وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم...... واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني..." [2] إن الخطابي قد بذل جهداً مشكوراً في بيان العلة في إعجاز القرآن البلاغي حيث بيّن أنواع الكلام الفاضل المحمود الذي حازته بلاغة القرآن، ثم بين ثلاثة أسباب تعذر على البشر بسببها أن يأتوا بمثل القرآن، وأن القرآن إنما كان معجزاً؛ لأنه قام على ثلاثة أركان، هي: لفظ حامل، فمعنى به قائم، ثم رباط لهما ناظم، وقد حاز على أفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف، متضمناً لأصح المعاني، بهذا ندرك أن الفرق بين الخطابي و(الرماني) واضح في أن (الخطابي) قد تحدث عن العلة في الإعجاز البلاغي، أما ((الرماني)) فلم يتحدث عن العلة أو السر في ذلك الإعجاز البلاغي، وإنما قسم البلاغة كما قسّمها عامة أهل اللغة، فلم يقبل ذلك الخطابي بل اعتبره نوعاً من التقليد، وضرباً من غلبة الظن دون تحقيق له، وإحاطة العلم به، وإنما هو إشكال أحيل به على إيهام.

ثانياً : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة

قال (الرماني): "أما توفر الدواعي؛ فيوجب الفعل مع الإمكان لا محالة، في واحد كان أو جماعة، والدليل على ذلك أن إنساناً لو توفرت دواعيه إلى شرب ماء بحضرته من جهة عطشه واستحسانه لشربه، وكل داع يدعو إلى مثله، وهو مع ذلك ممكن له، فلا يجوز ألا تقع

---

[1] (1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم – بيان إعجاز القرآن ص24-25.

[2] (2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم – بيان إعجاز القرآن ص26-27.

شربة منه حتى يموت عطشاً لتوفر الدواعي على ما بيّنا، فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذلك على عجزه عنه، فذلك توفر الدواعي إلى المعارضة على القرآن، لما لم تقع المعارضة دل ذلك على العجز عنها" (1) .

وأقول: من كلام (الرماني) نناقشه، قال: مع توفر الدواعي، أي دواعي المعارضة، وهذا شرط من أشراط الإعجاز والمعجزة(2) وهو وجود المقتضى الذي يدفع المتحدى إلى المنازلة، فوجود الدواعي يوجب الفعل، أي: المعارضة، مع الإمكان لا محالة، سواء أكان التحدي لواحد أم جماعة، واستدل بإنسان وجدت دواعيه لشرب ماء كان بحضرته، وهو في حاجة للشرب، فإن مات عطشاً دون أن يشرب، دل ذلك على عجزه عن الشرب، إذ لو كان قادراً لشرب؛ فأنقذ نفسه من الموت.

وقد طبق (الرماني) هذا المثال على القرآن، فإن توفرت دواعي الناس إلى المعارضة، ولم يفعلوا؛ دل ذلك على عجزهم عن معارضة هذا القرآن المعجز.

فالنتيجة إذن هي إثبات إعجاز القرآن بترك المعارضة مع توفر الدواعي.

وبالجمع بين ترك المعارضة وتوفر الدواعي وشدة الحاجة؛ ينتج لنا دليل على إثبات إعجاز القرآن، ولا علاقة لذلك بوجوه إعجاز القرآن، التي تقتضي وجود التحدي بهذا الجانب، مع اعتباره علة للعجز عن هذا الأمر المعجز، كما سبق الإشارة إليه.(3)

فهذا الأمر إذن هو دليل على إثبات إعجاز القرآن، وليس وجهاً معجزاً كما أراده (الرماني) في مطلع رسالته.

ثالثاً: التحدي للكافة

قال (الرماني): "وأما التحدي للكافة فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها"(1)

هذا كل ما ذكره (الرماني) عن التحدي للكافة، ومعلوم أن التحدي هو شرط من أشراط تحقيق الإعجاز، كما سبق الإشارة إليه (2) وقد ضم (الرماني) هذا الشرط مع الشرط السابق وهو توفر

---

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، النكت في إعجاز القرآن ، ص109.

(2) انظر: المطلب الرابع من المبحث الثاني: أشراط الإعجاز والمعجزة.

(3) انظر: المطلب الثاني من المبحث الثاني : الوجه المعجز للقرآن الكريم.

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – النكت في إعجاز القرآن ص110

(2) انظر: المطلب الرابع من المبحث الثانى : أشراط الإعجاز والمعجزة.

الدواعي؛ ليثبت من خلال الجمع بينهما مع النتيجة المترتبة عليهما وهي ترك المعارضة أن القوم قد عجزوا عن معارضة القرآن بمثله؛ فيتحقق بذلك أن القرآن معجز.

فقد جمع بين شرطين من أشراط تحقق الإعجاز مع ترك المعارضة رغم وجودها ليستدل بذلك على إثبات أن القرآن معجز. وهكذا يظهر لنا أن لا علاقة لهذا القول بوجوه إعجاز القرآن التي تقتضي وجود التحدي، مع اعتبار علة للعجز عن معارضة القرآن بمثله. فهذا الأمر إذن هو دليل على إثبات إعجاز القرآن، وليس وجهاً كما أراده (الرماني) في مطلع رسالته.

رابعاً: الصرفة.

قال (الرماني): وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول (3) .

أقول: لقد عرَّف (الرماني) (صرف): بأنها الصرفة للهمم عن المعارضة، وأظهر أن هذا القول اعتمد عليه بعض أهل العلم ، ولعلَّه قصد (المعتزلة) الذين تزعموا ذلك القول، ورأوه العلة في عجز الخلق ممن معارضته القرآن ولعل (الرماني) قد قال بالصرفة؛ مجاراة لمذهبه الاعتزالي الذي اضطر أن يجاري به أهل زمانه(4)، ولخطورة القول بالصرفة على إعجاز القرآن؛ لذا سنتوسع في عرض هذه البدعة من القول.

1- معنى الصرفة: لغة واصطلاحاً.

الصرفة لغة:على وزن فعلة بفتح الفاء واللام وسكون العين، وهو رد الشيء عن وجهه، يقال: صرفه يصرفه، صرفاً، فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء أي: صرفها عنه(1).

2- المفهوم الاصطلاحي للصرفة

وأول ما نبت القول بالصرفة علي يد النظام، فهو أوّل من جاهر به، وأعلنه ثم دعا إليه، ولذلك نجد للنظام مفهوماً خاصاً للمراد بالصرفة، فهو ينفي عن القرآن الكريم الإعجاز، ويجعله في مستوى الكلام البليغ الذي استحسنته العرب؛ فحظي عندها، ولا فضل للقرآن في ذلك على

---

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – النكت في إعجاز القرآن ص110

(4) انظر: المطلب الأول من البحث الأول – تعريف (الرماني)

(1) لسان العرب 7/ 328 (مادة: صرف) .

غيره، وكان باستطاعة العرب الإتيان بمثله؛ لولا أنهم صرفوا مقهورين بقوة خارجة عنهم، لا طاقة لهم على دفعها.

وأما (الجاحظ) فقد كان له أيضاً مفهوم خاص للمراد بالصرفة، وهو مفهوم لا يقدح في بلاغة القرآن، ولا ينكر تفوقه، بل هو أقر بذلك الإعجاز، واعترف به، وأحس أن ما جاء به القرآن الكريم خارج عن طوق البشر ومقدورهم، فالصرفة عند الجاحظ ضرب من التدبير الإلهي، والعناية الربانية، جاءت لمصلحة المسلمين؛ كي يحفظ القرآن من عبث العابثين، وتشكيك المشككين، الذين يمكنهم أن يخدعوا الناس، فيزوروا أمامهم الحقائق، وقد صرف الله نفوس القوم عن معارضة القرآن، لا لأنهم قادرون على مثله إنما الله منعهم من ذلك كما قال النظام⁽²⁾.

ولذلك نجد (الرماني) قد قال بالصرفة وعدها وجهاً من الوجوه التي لا تقدح في بلاغة القرآن، وحسن تأليفه، فقد ذكر (الرماني) أن القرآن في أعلى مراتب البيان، ولا يدانيه شيء من كلام فصحاء العرب، وبلاغييهم، فهو مقتنع بإعجاز البلاغة القرآنية، التي لولاها لجاءوا بمثله.

الرد على وجه الإعجاز بالصرفة :

1- رد القاضي عبد الجبار

إن القاضي عبد الجبار خالف جميع من تقدموه ممن تحدثوا عن الصرفة، ولم يرض عن تفسيراتهم، حيث أبعد مفهوم كل من: النظام والجاحظ والرماني، عنها؛ لأنها كانت عندهم جميعاً شيئاً خارجاً عن إرادة القوم، مجبورين عليها جبراً.

ثم قدم الأدلة على إبطال القول بالصرفة **والتي منها**:

أ- لو كانوا ممنوعين من الإتيان بكلام فصيح، أو قول بليغ؛ لكان ذلك لا يختص بكلام دون كلام، وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم؛ لما أمكنهم الكلام المعتاد، ولكن القوم ظلوا يتكلمون، ويأتون بالقول الفني الممتاز، ولم ينحدر مستوى بيانهم، أو يهبط، ولكنه كان على علوه، لا يرقى إلى مستوى القرآن.

ب- ولو ثبت هذا المنع، لكان في حد ذاته هو المعجز، وليس القرآن، فإن من سلك هذا المسلك في القرآن؛ يلزمه ألا يجعل له مزية ألبتة.

---

(2) الحيوان4/ 85وما بعدها

ج- ولو ثبت هذا المنع بأية صورة من صوره؛ لبطل بعض القرآن، ولما كان صحيحاً قوله تعالى: {**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** } (1).

د- القول بالصرفة يتعارض مع الآية السابقة؛ لأنه لا يقال في الجماعة إذا امتنع عليها الشيء: إن بعضها يكون ظهيرا لبعض؛ لأن المعاونة، والمظاهرة، إنما تمكن مع القدرة، ولا تصح مع العجز، والمنع)(2).

فالصرفة بهذا المفهوم الجديد عند القاضي عبد الجبار، ليست تلك الصرفة التي عند النظام أو الجاحظ، والتي تعني: القهر والجبر، إنما هي صرفة ذاتية، فهم أدركوا بالفطرة أن أسلوب القرآن في: علوه وسموه وروعة نظمه وبيانه، لا يمكن مجاراته ومعارضته؛ فانصرفوا ذاتيا بلا قهر أو جبر من قوة خارجية عن المعارضة؛ اقتناعا منهم ويقينا بالعجز، فالأمر في الحقيقة: انصراف، وليس صرفة.

2- رد الخطابي.

قال الخطابي: "وذهب قوم (يقصد المعتزلة) إلى أن العلة في إعجازه أي: (القرآن) الصرفة، أى صرف الهمم عن المعارضة(3) ولم يرتض الخطابي ذلك، بل رد عليهم بقوله: إن دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله تعالى: {**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**}(4) فأشار سبحانه في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها" (5).

3- رد القاضي أبو بكر الباقلاني.

أ- لو كان الأمر على ما ذهبوا إليه، وكان الإعجاز بالصرفة حقاً ؛ لكان الأقوى في الحجة، والأبين في الدلالة، أن يجيء القرآن في أدنى درجات البلاغة؛ لأن ذلك أبلغ في الأعجوبة، فإن الذي يعجز عن كلام هو في مستوى كلام الناس أو أدنى منه؛ يكون ذلك دليلاً على أن هناك قوة

---

(1) سورة الإسراء ، آية (88).

(2) المغني 16/ 324 .

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 23

(4) سورة الإسراء ، آية (88).

(5) المرجع السابق ص 24 .

غلابة، حالت بينه وبين المعارضة، وبالتالي: لم تكن هناك حاجة لمجيء القرآن الكريم في نظم بديع، ومستوى رفيع عجيب؛ لأنه الأقرب إلى قوة الدليل، ووضوح الحجة.

ب- إننا لو سلمنا أن العرب المعاصرين للبعثة قد صرفوا كما يزعمون، لم يكن مَنْ قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عمَّا كان يُعدل به في الفصاحة والبلاغة، وحسن النظم، وعجيب الرصف،فلما لم يوجد في كلام مَنْ قبلهم مثله؛ علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان.

ج- إنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره)(1).

4- رد القاضي عبد القاهر الجرجاني.

أفرد الجرجاني فصلاً كاملاً في رسالته الشافية، أبطل فيه مذهبهم، بردود كافية شافية، **منها**: أنه يلزم على ادعائهم هذا، أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان، وفي جودة النظم وشرف اللفظ، وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم، فعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون، وأن تكون أشعارهم التي قالوها، والخطب التي قاموا بها، من بعد أن أُوحي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحدوا إلى المعارضة قاصرة عمَّا سمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد ، وإذا كان الأمر كذلك ، وأنهم منعوا منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها ، لزمهم أن يعرفوا ذلك من أنفسهم ، ولو عرفوا لجاء عنهم ذكره ، ولكانوا قد قالوا للنبي : - صلى الله عليه وسلم - إنا كنا نستطيع هذا قبل الذي جئتنا به، ولكنك سحرتنا، واحتلت علينا في شيء حال بيننا وبينه، وكان أقل ما يجب عليهم في ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم، ويشكو البعضُ إلى البعض، وقالوا: ما لنا نقصنا في قرائحنا؟ وإذا كان ذلك لم يرد، ولم يذكر منهم قول في هذا المعنى، لا ما قل ولا ما كثر؛ فهذا دليل على أنه قول فاسد؛ ورأي ليس من آراء ذوي التحصيل.

ومنها أيضاً : الأخبار التي جاءت عن العرب في شأن تعظيم القرآن ، وفي وصفه بما وصفوه به من نحو: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر " فمحال أن يعظموه وأن يبهتوا عند سماعه، إذا علموا من أقوال الأولين ما يوازيه ويساويه في البلاغة.

وخلاصة القول عند الجرجاني: إن دليل النبوة عند القائلين بالصرفة، إنما كان في الصرف والمنع عن الإتيان بمثل نظم القرآن ، لا في نفس النظم، وكفى بهذا الضعف رأي، وقلة تحصيل(2).

---

(1) إعجاز القرآن ص 42 .

(2)الرسالة الشافية ص 146- 154.

5- إجماع الأمة.

ومما يبطل القول بالصرفة؛ إجماع الأمة قبل ظهور القول بالصرفة على أن إعجاز القرآن ذاتي ، وقد حكى هذا الإجماع الإمام القرطبي: فقال بعد أن ذكر قول القائلين بالصرفة: "وهذا فاسد؛ لأن الإجماع قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إن المنع والصرفة هو المعجز ؛ لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع ، وإذا كان كذلك ، علم أن نفس القرآن هو المعجز ، وأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة ، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه ، فلما لم يكن كذلك مألوفا معتادا منهم ؛ دل على أن المنع والصرفة ، لم يكن معجزا"(1)

وخلاصة القول في الصرفة:

1- لو أن الله صرفهم عن المعارضة، وأعجزهم عنها، بعد أن كانوا قادرين عليها ، لما استعظموا فصاحة القرآن ، بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر معارضة القرآن، بعد أن كانوا قادرين عليها، وهذا لم يقع؛ مما يدل على بطلان القول بالصرفة.

2- إن كلامهم قبل التحدي لم يكن مقارباً لفصاحة القرآن، ولو كان كذلك ، لوجب أن يعارضوه بذلك؛ ولكان الفرق بين كلامهم بعد التحدي وكلامهم قبله، كالفرق بين كلامهم بعد التحدي وبين القرآن؛ مما يبطل تلك الدعوى فيردها على أعقابها.

3- ليس من المعقول أن ينسى العرب الفصحاء أساليبهم وصيغهم المعلومة في مدة يسيرة، لأن ذلك يدل على زوال العقل، ومعلوم أن العرب ما زالوا يحتفظون بعقولهم بعد التحدي، فبطل ما قاله (النظام) أول المبتدعين للقول بالصرفة، وما قاله (الرماني) مجاراة للاعتزال في زمانه، حيث لم يعد لهذا الوجه بينة معقولة ولا حجة مقبولة من كتاب أو سنة أو رأي سديد وعقل رشيد.

خامساً : الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة

قال (الرماني) : "وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة فإنه لما كان لا يجوز أن تقع إلا على الاتفاق؛ دل على أنها من عند علام الغيوب ، فمن ذلك قوله عز وجل : {**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**}(2) فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين: (العير) التي كان فيها أبو سفيان، أو الجيش الذي خرج من قريش؛ لحماية العير فأظفرهم الله عز وجل بقريش

---

(1) الجامع لأحكام القرآن1/ 75.

(2) سورة الأنفال، الآية 7

يوم بدر على ما تقدم من الوعد ..."(1) ثم ذكر مجموعة آيات تضمنت أخباراً عما ستقع في المستقبل.

وأقول: إن الأخبار الصادقة سواء أكانت متعلقة بالماضي أم الحاضر، أم المستقبل قد ترجحت لدينا أنها أدلة على صدق الوحي والنبوة(2) رغم أن بعض القدامى والمحدثين ذكره على أنه وجه من وجوه إعجاز القرآن، ونقول لمن اعتبره وجها: هل وقع التحدي بذلك الأمر؟ وهل يمثل ذلك الأمر علة العجز لدى الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله؟ وهل ذلك الأمر متحقق وجوده في كل سورة من سور القرآن حتى يصبح قاسماً مشتركاً بين جميع السور؟

أعتقد أن الإجابة عن الأسئلة السابقة سيكون بالسلب، مما يرد ذلك الأمر عن أن يكون وجهاً معجزاً، وقد سبق رفض (الخطابي) لذلك الوجه؛ لكونه ليس أمراً عاماً موجوداً في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل الله في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، من غير تعيين لسورة دون أخرى؛ مما يدل على أن الأمر ليس وجهاً معجزاً كما ذهب إليه البعض.

لكن التطابق والتوافق بين الخبر من جهة والواقع الذي تحقق فيه الخبر من جهة أخرى (دلَّ على أنها من عند علّام الغيوب) كما ذكر (الرماني) أعلاه أي: هو دليل على أن القرآن كلام الله حقاَ، وبالتالي فإن _محمداً صلى الله عليه وسلم_ هو رسول الله قطعاً، وهذا هو المراد بدليل صدق الوحي والنبوة.

وبهذا ندرك أنه لا علاقة للأخبار الصادقة بوجوه إعجاز القرآن كما أشار (الرماني) في مطلع رسالته.

سادساَ: نقض العادة.

قال (الرماني) : "وأما نقض العادة فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل ، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القران بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة ..." (3).

أقول : إن نقض العادة هو شرط من أشراط المعجزة، كما سبق الإشارة إليه(4) ، وهذا يعني أن غير الخارق لا يكون معجزة، كما لو قال مدعي النبوة : آية صدقي طلوع الشمس من حيث

---

(1) النكت في إعجاز القرآن ص 110

(2) انظر: المطلب الثالث من المبحث الثاني – أدلة صدق الوحي والنبوة.

(3) ثلاث رسائل في الإعجاز، النكت في إعجاز القرآن ص111.

(4) انظر: المطلب الرابع من المبحث الثاني ، أشراط الاعجاز والمعجزة .

تطلع، وغروبها من حيث تغرب؛ لأن هذا من الأمور المعتادة، ومن أشراط المعجزة أن تكون خارقة للعادة التي اعتادها الناس، كما لو قال مدعي النبوة: آية صدقي أن يقلب الله هذه العصا ثعباناً، أو ينبع الماء من بين أصابعي، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التي ينفرد بها جبار الأرض والسموات.

لذلك انطبق هذا الشرط على المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي معجزة القرآن حيث جاء بطريقة في الكلام يخالف بها كل ما كان معهوداً في زمن نزوله وقبله وبعده، فهو يخالف ما اعتاده الناس من: السجع ، الخطب ، الرسائل ،المنثور وغيرها من أنواع الكلام التي فاق بها كل طريقة في الحسن، وبهذا قد حقق شرط نقض العادة.

وندرك بذلك شرط المعجزة الذي لا بد من تحققه؛ ليثبت إعجازها، لكن هذا شيء، واعتباره وجهاً من وجوه إعجاز القرآن شيء آخر، فلا علاقة لشرط المعجزة بوجه الإعجاز الذي قصده (الرماني) في مطلع رسالته.

سابعاً : قياسه بكل معجزة

قال (الرماني): "وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة، إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز، إذ خرج عن العادة، وقعد الخلق فيه عن المعارضة" (1).

وأقول: إن (الرماني) أثبت بكلامه إعجاز القرآن ليس أكثر من ذلك، حيث إنه قاس القرآن بكونه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الكبرى على غيرها من معجزات الأنبياء السابقين كفلق البحر، وقلب العصا حية وغيرها مما توافر فيها أمران أحدهما: خروج تلك المعجزات عن العادة، المشار إليه في البند السادس (بنقض العادة) وهو شرط من أشراط المعجزة كما عرفنا سابقاً، وثانيهما: عجز الخلق فيه عن المعارضة.

فكأن (الرماني) قد قال: إن سلمنا بأن فلق البحر وقلب العصا حية معجزة، لأنها قد نقضت العادة، فقعد الخلق فيها عن المعارضة، فكذلك يجب أن يكون القرآن معجزة، لأنه قد تحقق فيه نقض العادة، فقعد الخلق فيه عن المعارضة.

هذا أقصى ما دل عليه كلام (الرماني)،: وهو إثبات أن القرآن معجزة؛ لكن هذا شيء والقول: بأنه وجه من وجوه إعجازه شيء آخر، كما أراد (الرماني) في مطلع رسالته.

---

(1) ثلاث رسائل فى إعجاز – النكت في إعجاز القرآن – صـ111.

الخاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، نحمده أن أتم علينا نعمته بتمام هذا البحث الذي دُعم بمنحة الجامعة الإسلامية للبحث العلمي والذي كانت أهم نتائجه **كما يلي**:-

أولاً: تم الوقوف على ترجمة (الرماني)، بدءاً باسمه ونسبه ونشأنه، فمكانته العلمية، ثم أقوال العلماء فيه، ثموفاته، وآثاره العلمية، وانتهاءً بفكره ومذهبه الاعتزالي الذي اضطر أن يجاري به أهل زمانه، وذلك من خلال مجموعة من: كتب التاريخ والتراجم والسير والفهارس وطبقات المفسرين وكتب الجرح والتعديل وغيرها، مما أسهم ببروز ترجمته بشكل واضح ودقيق.

ثانياً: تم التعرف على رسالة (الرماني) (النكت في إعجاز القرآن) وهي رسالة إعجازية أدبية بلاغية قيمة، مع استعراض سريع لأهم ما ورد فيها من قضايا تتعلق بالإعجاز بصفة عامة، والبلاغة بصفة خاصة.

ثالثاَ: ظهر لنا العصر الذي عاش فيه (الرماني)، وهو أواخر القرن الثالث مع أغلب القرن الرابع الهجري، وما امتاز به عصره من علوم ومعارف، وما فيه من سمات: سياسية وفكرية ومذهبية، وما اعتراه من: ثورات داخلية وانتفاضات شعبية.

رابعاً: ظهرت لنا أدلة إثبات الإعجاز للقرآن الكريم وتميزها عن غيرها، وذلك بعجز العرب عن معارضته رغم توفر الدواعي وشدة الحاجة إلى تلك المعارضة، ولو كانوا قادرين ما توانوا لحظة عن تحقيق غايتهم، وأحوال العرب وأقوالهم أدلة على عجزهم عن ذلك الأمر المعجز للخلق جميعاَ.

خامساً: إن المراد بالوجه المعجز للقرآن الكريم، هو الأمر الذي كان من جهته التحدي؛ فمثّل عقبةً وعلّةً أمام الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله، وقد كان الجانب اللغوي هو الأمر العام الموجود في جميع سور القرآن بلا استثناء، وقد جعل الله كلَّ سورة معجزة قائمة بنفسها.

سادساً: ظهرت لنا أدلة صدق الوحي والنبوة، التي هي أمر آخر غير وجوه الإعجاز،وغير أدلة الإعجاز؛ لكونها غير متحدى بها أصلاً، وذلك: كالإشارات العلمية، وأخبار الغيب الماضي منها والحاضر والمستقبل، وحكمة التشريع وغيرها مما وقع فيه بعض القدامى والمحدثين حيث اعتبروا أدلة صدق الوحي والنبوة وجوهاَ معجزة.

سابعاً: تم الوقوف على أشراط الإعجاز والمعجزة التي لا بد منها؛ كي يتحقق الإعجاز أو المعجزة، والتي لا مجال لخلطها بغيرها مما له علاقة بالإعجاز، ولأن الأصل هو وضع كل شيء في نصابه، دون: تغيير أو تبديل أو تحريف في المسميات، ودون تعصب للرأي، والحكمة ضالة المؤمن هو أولى بها أنَّى وجدها.

ثامناً: وقفنا على سبب تأليف (الرماني) لرسالته (النكت في إعجاز القرآن) وهو سؤال حول النكت في إعجاز القرآن، فأجاب: بأن وجوه الإعجاز ظهرت في سبع جهات، وقد ذكرها مجملة، ثم عاد ليفسرها ويشرح مراده منها، بدءاً بالبلاغة التي استغرقت جلَّ رسالته، حيث لم يترك للوجوه الستة الباقية إلا صفحات قليلة.

تاسعاً: وقفنا على تعريف (الرماني) للبلاغة، وكيف قسمها عشرة أقسام، وقد استغرق في شرح كل قسم منها شرحاً مطولاً مستدلاً على كل قسم بآيات قرآنية للدلالة على أن القرآن قد تضمن تلك الأقسام العشرة للبلاغة، لكنه لم يختلف في شرحه عن عامة أهل الاختصاص في اللغة والبلاغة، وقد فاته إثبات علة الإعجاز من خلال البلاغة، فما زالت البرهنة قاصرة، والكيف عنده في تحقيق الإعجاز البلاغي غير واضح، خاصة إذا قيس بغيره من أهل عصره كالخطابي مثلاً الذي بيَّن ثم فصَّل كيف تكون البلاغة وجهاً معجزاً للقرآن الكريم.

عاشراً: للوقوف على بقية وجوه الإعجاز التي يراها (الرماني)؛ ندرك **ما يلي**:-

1- قوله: "بترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة" ثبت أنه دليل على إثبات إعجاز القرآن، وليس وجهاً معجزاً.

2- قوله: "التحدي للكافة" هو شرط من أشراط الإعجاز، وقد سخره لإثبات أن القرآن معجز، وبالتالي لا علاقة له بوجوه الإعجاز.

3- قوله: "الصرفة" هو قول للمعتزلة، وقد قال به (الرماني)؛ مجاراة لمذهبة الاعتزالي الذي اضطر أن يجارى به أهل زمانه، وقد رد العلماء ذلك القول ولم يقبلوه.

4- قوله: "الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة" هي أدلة على صدق الوحي والنبوة رغم الخطأ والخلط الذي وقع فيه بعض القدامى والمحدثين حيث اعتبروه وجهاً معجزاً.

5- قوله: "نقض العادة" هو شرط من أشراط المعجزة لا بد من تحققه؛ ليثبت إعجازه، ولا علاقة لذلك بوجه الإعجاز الذي قصده (الرماني).

6- قوله: "قياسه بكل معجزة" هو إثبات أن القرآن يعد معجزة كغيره من معجزات الأنبياء السابقين، وليس وجهاً من وجوه إعجاز القرآن كما أراد (الرماني) في مطلع رسالته.

والله الموفق لما يحبه ويرضاه

قائمة المصادر المراجع:

1- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1421هـ- 2000م.

2- أصول الدين الإسلامي: د. قحطان الدوري، دار الحرية للطباعة ، بغداد، الطبعة الأولى 1397هـ -1977م.

3- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. عبد السلام اللوح، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع ، غزة ، فلسطين ، الطبعة الثانية 1423هـ - 2002م.

4- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، الطبعة التاسعة 1393هـ-1973م.

5- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة دار المعارف، بمصر ، بدون تاريخ.

6- الإعجاز في دراسات السابقين: عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1395هـ-1975م.

7- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة 1980م.

8- الإمتاع والمؤانسة: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وزميله، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1939م.

9- أنباه الرواة على أنباء النحاة: علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، الطبعة الأولى 1952هـ.

10-الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تعليق: عبدالله عمر البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م.

11-البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت.

12-بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

13-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة 1423هـ- 2002م.

14-تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت.

15-تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعروف بابن قتيبة، شرح ونشر السيد: أحمد صقر، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثالثة 1401هـ-1981م

16-تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ابن حجر أحمد بن علي تحقيق علي محمد البجاوي وآخرون المكتبة العلمية ، بيروت لبنان

17-تذكرة الحفاظ: الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تحت وزارة معارف الحكومة العالية الهندية- الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

18-تفسير القرآن الحكيم(الشهير بتفسير المنار): محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية.

19-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني) تحقيق: محمد خلف الله أحمد ، والدكتور محمد زغلول سلام .

20-الجامع لأحكام القرآن: أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه وضبطه وعلق عليه: الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية: 1416هـ 1996م.

21-الحيوان : عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة، 1969م .

22-روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر 1394هـ- 1974م.

23-سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة 1412هـ.

24-شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي، الناشر: دار المسيرة ، بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ.

25-طبقات الشافعية: (أبي بكر بن أحمد تقي الدين بن قاضي شهبة ، تعليق : د. الحافظ عبد العليم خان ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.

26-طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الحربي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1997م.

27-طبقات المفسرين:شمس الدين محمد بن علي الداودي، ، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة ، القاهرة، الطبعة الأولى 1972م.

28-طبقات المفسرين:عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى 1396هـ.

29-ظهر الإسلام: أحمد أمين، بيروت، الطبعة الخامسة 1969م.

30-العبر في خبر من غبر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

31-علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية عشر 1398هـ - 1978م.

32-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا (المعرف بابن الطقطي) مصر.

33-الفهرست: لابن النديم أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب اسحق المعروف الوراق، طبعة بيروت 1964م.

34-الكامل في التاريخ: علي بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، طبعة دار الفكر ، بيروت 1398هـ-1998م.

35-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المشهور (بحاجي خليفة) دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان الطبعة 1413هـ - 1992م.

36-لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

37-لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعارف النظامية ،الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، الطبعة الثالثة 1406هـ – 1986م.

38-مرآة الجنان وعبرة اليقظان: أبو محمد اليافعي، الناشر: حيدر آباد- الدكن، الطبعة الأولى 1338هـ.

39-معجم المؤلفين:عمر رضا كحالة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

40-المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، تحقيق: أمين الخولي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة.

41-مقدمة كتاب (الظاهرة القرآنية: لمالك بن بني) محمود محمد شاكر ، بدون تاريخ.

42-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج،الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى 1358هـ.

43-ميزان الاعتدال: محمد احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق على محمد البجاري دار المعرفة ، بيروت، لبنان.

44- النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية 1930هـ-1970م.

45- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين ابن بردى الأتابكي، القاهرة، الطبعة الأولى 1929م.

46-نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات عبدالرحمن بن محمد ابن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة 1405هـ-1985م.

47- هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان الطبعة 1413هـ-1992م.

48- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن آبيك الصفدي، الناشر: الكتب الثقافية، فرانز شتايز بفينادن، الطبعة الثانية 1394هـ- 1974م.

49-وفيات الأعيان وأبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1397هـ- 1977م.